

الفصل الثالث

المنظر الأول

(صبيحة ليلة المذبحة في الضحى.. حجرة في بيت بوحرید... قلعة بربروسة تبدو من بعيد كشبح رهيب.. وتبدو بعض مآذن المساجد وأجزاء من حي القصبة.. وجاسر يقف في أقصى الحجرة منكساً رأسه إلى الحائط.. عمار وعزام وهند في حالة وجوم)

عمار : (كمن يتلو قصيدة) بالله ياريح الظلام

عودي إلى البلد الذي أقبلت منه وبلغني عنا السلام

عزام : لا... فلتبلغ ألف لعنه..

عمار : (مكملاً) وإذا مررت على الحقول الخضراء يا ريح الظلام

هند : (مقاطعة خشية أن تيكلي)

عمار، لا تكمل بقيتها فتلك قصيدة تذري دموعي المستكنة..
ولها رنين فاجع يُكي الأجنة

عمار : (يكمل بلا مبالاة بنفس رنين صوته الحزين)

وإذا مررت على الحقول الخضراء يا ريح الظلام

ورأيت أوراق الخميلة لا يداعبها النسيم

ووجدت أن الكرمة الخضراء باتت كالشيم

ورأيت حبات الندى أصبحت كالدمع البتون

فسلي الأصيل الشاحب المهزوم، والغسق المهوم، والمساء

وسلي الحماثل والربى، وسلي السماء وسلي الجنون

ماذا دهي الزيتون؟

فإذا سمعت حديثهن عن المآسي والدماء
عودي إلى البلد الذي أقبلت منه ، وبلغني عنا السلام
بالله يا ريح الفلام

هـند : كفى... كفى... هذا كثير

عزام : عمار لا تكمل قصيدتك الحزينة ، فهي فاجعة النحيب

عمار : أنا لم أجد كالشعر متجعاً يريح القلب في هذا المهجير

هـند : من يوم أن دُبح الحسين وأهله في كربلاء

لم تأت غاشية كتلك... ولم يكن ضوء النهار

في مثل هذا الاصفرار ولا الشحوب

عزام : أغدوت شاعرة كعمار خطيبك ؟ حسينا هذا البراء

هذا غريب

هـند : لا ، لا تُهَيِّئ.. أمتنع

عزام : لكننا في موقف ضحك فما جدوى البكاء

لم لا نفكر في الخلاص ؟

أو في القصاص

(جاسر يقف وحده بعيداً وعيناه شاردتان على القصبة المحطمة
تحت قدميه)

جاسر : كل شيء باهت في هذه الأرض معدّب مستباح منتهك

هـند : (على وشك الانهيار دائماً) جاسر ، اسكت أنت.. اسكت

(عمار مازال في حالة إلقاء الشعر ، يكمل القصيدة التي بدأها)

عمار : من لي بأحلامي القديمة.. أين أحلامُ السكينة
 من لي بآمالي التي باتت مضرَّجة طعينة!
 ما بال أنغام الحياة غدت مُروَّعة حزينة؟
 يا ويحها عبثت بها ربح الظلام!! لم جئت يا ربح الظلام؟
 ألتعصفي بالحب والأمل المفرد والسلام
 ألتشعلي في القلب نار الانتقام
 عودي إلى البلد الذي أقبلت منه وبلغني..

عزام : (يقاطعه ثائراً) لا.. لا سلام!
 لا حديث الآن عن هذا السلام
 جاسر : (وحيداً فاجعاً من بعيد) كل ما في القصة اليوم حطام
 إن أعراض النساء انتهكت إن هامات الرجال امتهنت
 والذي يملأ القلب بنور الكبرياء

كله أضحى رغاماً في الرغام
 المعاني كلها قد دُمِّرت فكأنني ببجبال سُجِّرت!
 وكأنني بمجحيم سُعِّرت والنجوم انكدرت!

والسما انكشطت
 فإذا سرنا هناك حيث كنا نرفع الرأس، أحاطتنا الشراك
 لا يكاد المرء يمشي خطوة إلا تعلقُ بردائه أو حذائه بعض
 أشلاء من القلب الممزق!

عمار : جاسر، اسكت...

هند : دعه يا عمار.. دعه في شقاؤه!



جاسر : أحمد المصري مات الفتى سرحان مات

مصطفى بوحريد مات

عزام : كل من نسأل عنه اليوم مات!

جاسر : مات بوحريد وما عاد يقول!

كان بوحريد حكيماً وسيطاً وشجاعاً

كان بساماً يحب الأرض مزهواً بحبه

عاش لم يَرَجُ من الأيام إلا وجه ربه

كان بوحريد بسيطاً وحكيماً وشجاعاً..

كان في هذا الظلام الهائل الداجي شعاعاً كيف ضاعاً!

كان يشقى لتكون الأرض حره

ويعيش الناس إخواناً على جنح المحبه

إنني أذكره آخر مره عندما جاء يقول..

(يقلبه تأثره)

مات بوحريد وما عاد يقول!

لم يكن غير مصير الناس ما يشغل قلبه

دائماً يحتضن المجهول كفاه تهزان الفضاء

رأسه مرتفع نحو السماء

شامخ، يفتح صدره للنسيم الطلق كي يملأ صدره

بالشذى الطيب من عطر الحقول

بعبير الأرض بالدنيا بأنفاس الحياة القادمة

بالأمانتي الباسمه كان بوحريد يقول...

مات بوحرید.. وما عاد یقول!

مات بوحرید کما عاش عظیمًا وحکیمًا وبسیطًا وشجاعًا..

هــــند : (تنهار تمامًا) أنت تبکی... أنت یا جاسر تبکی!

عــــزام : أنت یا جاسر قائدٌ فتجلدُ

هــــند : لیس من حقک أن تبکی مثلی، أنت رائد!

جاسر : کل هذا الهول والعالم يشهد!

دولة الصیاد عادت...

عمــــار : إننا نسلک للتحریر أرضًا لم تبعُد

کلها صخر وأشواک وهول وسعیر

عــــزام : غیر أن الناس یمضون

هــــند : أجل، هم یزحفون

جاسر : (مستمرًا) دولة الصیاد عادت لا تبالي بحکیم أو شجاع

والمسوخ الشائعات الیوم تستلُ النخاع

من رؤوس الحکماء

إنه عصر الأفاعي.. عصر مصاصي الدماء!!

إنما الدیدان تفتت بأعصاب الفضائل!

هاهي الغیلان فوق السور حُرَّاسٌ علینا!

کل شيء شاحب من حولنا مضطربٌ لا بل وكاذب

وقميء وزري! العقارب وثبت تنهشنا من کل جانب

ومعاني الحب جفت، والخمائل سحل الذئب علیها،

والرذائل

تسكر الآن بأعصاب الوجود! زمن الرعب يعود
هاهي الفوضى تسود

هـند : (صارخة) جاسر، اسكت.. إنني سوف أجن

جاسر : (مستمرًا) الخفافيش تعود!!

إنها تسحق أسراب الحمام.. وتمص الدم من قلب السلام!!

نحن في عصر الأكاذيب الرهيبة!

هاتف الحق خرس كل نور ينطمس

وشعاع الكلمات الصادقة

لم يعد يقوى على أن يرسل الضوء إلى عقل الوجود!

لم يعد غير دخان وضباب وندس! الخطايا

تتحدى كالبغايا

بينما الخير عجوز أبكم فيه بَلَّة

لم يعد في الأرض من يسمع له!

عاد سلطان الذئاب! نحن في عصر العذاب

نحن في عصر الضنى والضلالات الحسان الرائعة

هو عصر الخرق المرقعة!! هو عصر الخرق المرقعة!!

(عزام يتقدم في تأثر كبير إلى جاسر ويمسك به.. بينما تظهر جميلة

بالباب)

عزام : يا صديقي!..

هـند : (رأسها بين يديها) وا أسفاه!

- جاسر : (مستمرا) والحياة أصبحت مثل جدار تحيط الرأس عليه
ثم ترتد إلينا دامية دامية
- عزام : يا صديقي.. يا أخي.. يا قائدي..
- (يبكي جاسر وعزام وهما يتعانقان ، بينما تدخل جميلة في ثوب
أسود من اليمين)
- جميلة : ولماذا يحيط العاقل في الحائط رأسه؟
أترى هل نسي القائد أمسه؟
كان كالطود على القمة والأنواء تحته
وأنا في قبضة المأساة أعوي ، وهو صامد
هل تبادلنا مكانينا!
- جاسر : أنت ! كيف غادرت فراشك؟
- عمار : لم قمت؟
- جميلة : قام حتى من هم تحت التراب ! أبعادوا هذا السحاب
عن سماوات بلادي ، أبعادوه ! أطلقوا زفرتا الحرى عليه يتبدد
- عمار : (بأنين) كل يوم مائة منا يموتون
- جميلة : وألف يولدون..
- أنا لا أفهم هذا ! نحن لا نبكي ! فما يبكي الرجال ! إن من يبكي
هو العاجز
- عزام : حقاً
- جميلة : أنت يا عزام أيضاً؟ أنت لا تعرف إلا الضحكات
- عزام : (يقرع صدره) أولاً أحمل قلباً هاهنا

- جميلة : (تقاطعه) بلى ! فلتصن قلبك من هذا الهوان
(متجهة إلى جاسر)
أنت يا جاسر ، قد علمتني أن البكاء
يطفي النار التي في القلب تستوصي بثأر الشهداء
(جاسر يتأمل جميلة مأخوذاً بها وهو يراها أمامه متماسكة
جداً...)
- جاسر : قد تغيرت كثيراً.. كل هذا النضج من مأساة أمس ؟!
- جميلة : إنما ينضج الناس هنا قبل الأوان والدموع
تطفي الحقد المقدس
أنت من علمني هذا جميعاً..
- جاسر : (متماسكاً) والذي يبدو لنا اليوم كشيء متحيل
سوف يغدو واقعاً بعد قليل!
- عزام : (بطرب) هكذا.. قد فارقتك النبرات الباكية!
- جميلة : إن هذا صوتك الحق ، نكلم هكذا أيها القائد أكمل
- عمار : إن هذا صوته يرتد من قاع المآسي الدامية
- عزام : هو ذا صوت البطل
- جميلة : نحن نحتاج إلى ما تملك الدنيا من الطيبة كي لا نحول
إلى وحوش ضارية!
- عمار : نحن حتى الطيبون
- لم يعد يشغلنا بعد سوى التفكير في القتل

- عزام : وفي الثأر الذي يشفي الصدور
- جميلة : نحن نحتاج إلى شيء جديد عمل ينهل من روعته
- ويضيء القلب بالعزة من عزته!
- عمار : هند.. قللي ما العمل..
- عزام : بل علينا الآن أن نبحث في شحنة الأسلحة الكبرى
- جميلة : أجل
- جاسر : ومتى تأتي؟.. غد موعدها
- عزام : بل ستأتي هذه الليلة
- جاسر : حقاً؟
- عمار : إنها قد غيرت موعدها
- عزام : وقعت تحت يدي برفقة للفرنسيين فاستبقيتها
- وتأكدت بنفسي أنها سوف تأتي هذه الليلة نحو الواحده!
- هند : مرحى
- جاسر : هم إذا لا يعرفون أي شيء
- عزام : مطلقاً
- جميلة : كيف لا يخطرنا جيش الجبل أنها قد غيرت موعدها!
- عمار : كان بوحريد هو المسئول عن هذا جميعاً..
- جميلة : عجباً! ما الفائدة! كان لابد له من أن يموت
- ذات يوم!
- هو حلم وانقضى!

فاتركوا الماضي في روعته ، إننا نبحث مستقبلنا
(جاسر ينظر إليها وهي تهيم المكان للاجتماع)

جاسر : آه ! ما أروع هذا !. فلنفكر في الذي يخلفه !

فليكن عزام مسئول السفينة

عزام : حسنًا

هند : إنما لابد من تغطية ما يعمل

يسحب الحراس من ذاك المكان !

جاسر : هو ذا ما يشغل البال !.. عمل عمل يرههم حقًا

عزام : أجل .. (مفكرًا)

ربما ثورة أهل القصبة

عمار : لم لا ندعو إلى الإضراب ؟

هند : مرحى ! لم لا ؟

جاسر : إنما أتم جميعًا حاملون ! أو ندعوهم إلى مذبحة أخرى !

عزام : وكيف ؟

جاسر : إنكم لا تعرفون البسطاء الشرفاء فالشجاعة

تخلي عن قلوب البسطاء

عندما يحتدم الطغيان في هذا الزمان !

وهي أيضًا تخلي عنكم !!

إنكم ترفعون العبء عن أكتافكم ثم تلقون به فوق سواكم من

جموع البسطاء ! وتظنون بهذا أنكم

قمتُمُ بالواجب المطلوب منكم؟!

عزام : إيه يا جاسر ، ما هذا الكلام؟!

عمار : أنت محزون كهملت !!

جاسر : أنا لا أعرف هملتُ أنا لا أعرف إلا المعركة

والليالي الحالكه ! أنا لا أعرف إلا أنا

نحن مسئولون عن شعب يناضل

وهو على الرغم من المأساة مازال يناضل!

وعلى قاداته أن يعملوا من قبله!

فليضحوا وليكونوا مثلاً للتضحية!

فلنوجه ضربة ساحقة للذين انتهكوا القصة أمس

ولتكن ضربتنا لجميع المذنبين كلهم في لحظة واحدة

عزام : إنهم لا يلتقون الآن إلا في المعسكر؟!

جاسر : في المعسكر؟!

عزام : آه! تذكرتُ! أجل أنا والله غيبي!

إن في حانة سيمون العزيزه

يلتقي صفوة ضباط اللفياف الأجنبي

والمظليون أيضاً... ويبيرو

ومن الممكن أن نجتمع من شاءت لديها

جاسر : فإليكم خطتي المقترحه

قل لها تدع الذين اشتركوا في المذبحه

وليكن في الحانة الحمراء منا رجلان فليكن عمار أو عزام بل
عزام في صحة هند

عزام : كلهم يحب عزاماً صديقاً لفرنسا

وهو في الحانات نجم متألق!

جاسر : (لهند)

ولتكوني في ثياب ساهرة.. باهره

جاسر : (مستمراً بسرعة) وسأبقى أنا في الخارج في بذلة ضابط ومعني
الأخت أمي ...

عزام : تعني جميله؟

هند : (بأسف)

كاد أن يلفظ في لهفته باسم أمينه!

جاسر : (مستمراً) وهي في ثوب فتاة من شريدات الرصيف

جميلة : (محتجة) كيف هذا؟ يا إلهي كيف هذا؟..

عزام : (ساخراً) أنت مازلت جديده

هند : قَدْرِي وطأة هاتيك الظروف!

عمار : إنه دور نؤديه جميعاً حسبما يقتضي الموقف

جاسر : (لعزام) فإذا ما انتصف الليل تماماً

وتعالت ضجة السكر، فأطلق

عزام : من يكون الهدف السامي؟

جاسر : بيير! قائد المذبحة الكبرى

- عزام : جميل ! رحم الله بيير ! !
- عمار : فلترتب كل هذا مع سيمون و هند
- جاسر : (مفكرًا) وليكن أمنك في مشروع قبله
- جميلة : عجبًا ! مشروع قبله ؟ !
- عزام : هو مشروع مزيف !
- هند : كيف هذا ؟ . كيف يا عمار ؟ ! قبله ؟ !
- عزام : (لهند) لا تخافي أنت أيضًا ! إن عمارًا فدائي عظيم !
- ليس فينا واحد يطمع في أخذ مكانه !
- عزام : كل هذا بمسدر صامت بالطبع
- جاسر : بعد أن يكتشفوا مصرعه سوف يقرون فنلقاهم وهم محتشدون
- بالقنابل
- (ثم لهند وعزام)
- واهربا من باب سيمون
- عزام : بعدها سوف يأتي كل حراس الشواطئ
- كل بوليس المدينة
- جاسر : عندها تبدأ في تفريغ ما تحوي الفينه
- (وهم يقفون استعدادًا للانصراف)
- جميلة : بقيت قصة هارون
- عزام : أنا أنهيتها
- جاسر : كيف ؟

- عزام : سوف أروي لك هذا بعد حين
- جميلة : هل خلصنا منه؟
- عزام : بالطبع خلصنا للأبد
- جاسر : (لجميلة) غيّرِي ثوبك الأسود هذا
- إننا لا نرتدي ثوب الحداد
- جميلة : لك حق ، غير أنني ليس عندي ذلك الثوب الذي تقترحونه
- عمار : عند هند ألف ثوب فاضح ! أقرضيها واحداً
- جاسر : لا تبالي في الحشونة فهي أثنى ، وستغدو ذات يوم زوجتك
- وهي يا عمار ليست في الجبل
- إنما تعمل في وسط المدينة !
- عمار : حسناً!! لكنكم وزعتم أدواركم وأنا؟
- عزام : دورك الخالد معروف
- عمار : (بضيق) وكيف؟
- جاسر : اذهب الآن ، أعد القنبلة !
- عمار : (لجاسر)
- ستكون آخر قنبلة من صنع عمار ، فقد وصل السلاح
- جاسر : (وهو يدفعه ليخرج)
- أجل.. أجل.. ستكون آخر قنبلة..
- الجميع : أجل.. ولتحيا الجزائر!!
- (ستار)

المنظر الثاني

(الليل على البحر.. والجبال تبدو من بعيد.. على جانب المسرح شارع على البحر يليه مرقص صيفي يملأ المسرح.. على اليمين من داخل المرقص باب إلى حجرة سيمون.. أما الباب الرئيسي ففي أقصى اليسار وهو يؤدي إلى شارع البحر وقد كتب عليه بالضوء الأحمر بالعربية والفرنسية: "كباريه سيمون العزيزة"...

جاسر بملابس ضابط من الليف الأجنبي يتجول في شارع البحر.. المرقص لم يضيء أنواره بعد، وإن كانت موائده معدة.. سيمون صاحبة المرقص مقبلة من الشارع متجهة إلى باب المرقص.. تتوقف لتحدث جاسر وهو متكرر في ملابس الضابط).

سيمون : هاللو.. أنتَ يا لِفْتَانْت.. قل لي

لِمَ لم تذهب إلى حانة سيمون العزيزة

كل إخوانك عندي.. كلهم

جاسر : لستُ منهم

سيمون : لستُ منهم..؟ لم تكن بالأمس في الكاسيا إذا؟

أنت لم تشترك في ضربة الأمس؟

جاسر : أنا؟ لا

سيمون : فاتك الليلة شيء لا يقدر حفلة لا تتكرر

فأنا أحتفل الليلة بالأبطال حفلاً يبهج القلب ويهر

مع هذا ففضل أنت اذهب

خذ مكاناً عند سيمون العزيزة

(تصرف مسرعة متجهة إلى أقصى اليسار حيث باب المرقص..
بينما جميلة تقبل من الناحية الأخرى من الشارع في ثوب سهرة
ومعها حقيبة يد كبيرة... جميلة تمشي إلى جاسر الذي يقف الآن
بعيداً ناحية البحر)

جاسر : أَحْمَلْتُ رسالة عمار؟

جميلة : خذها الآن

جاسر : فيما بعد..

جميلة : أنا يا جاسر مضطربة

جاسر : ولماذا؟

جميلة : هذا الدور.. بثوب يكشف عن نحري

جاسر : أنا أيضاً لستُ بسفاح محترفٍ أو ذئب القصبِ

لكن ظروف معاركنا تُقضي يا أخت بما يجري

وقضاء معاركنا لا غير يشكّل دورك أو دوري

جميلة : الليل رهيب

جاسر : في الليل أحسّ بأن يدي أقوى ، وبأنني في وطني حقا

(جميلة لا تجيب فيسألها في حنان)

جاسر : أو خائفة من حمل القنبلة؟

جميلة : أنا؟ لا.. بل تعب

جاسر : (فجأة) أولاً يحمل قلبك لي شيئاً من حقد أو..

جميلة : (تقاطعه) لم تحسب هذا..

جاسر : أنا لا أدري لكنني أشعر أحياناً أنني المسئول عن القتل



جميلة : لا شك فإنك قائدنا أنت المشول عن الثأر
جاسر : أنا أعني تبعات أخرى تبعات دم الشهداء..
دم الأطفال يموتون وأنا مخبئ في وكري

جميلة : يا جاسر
جاسر : أحياناً ينهشني ألم
جميلة : أمسك... أمسك...

(ضابطان يمران.. يستدير جاسر وجميلة ويعطيان وجهيهما
للبحر.. جاسر يمد يده ويضعها في ذراع جميلة وهي تمسك يدها
لتمسك بيده كأنهما في وقفة غرام فيتلكا الضابطان)

الضابط (لجاسر) ذوقك حلو يا لفتاننت
الثاني : (لجاسر أيضاً) ما أبدع صيدك... ما أبدع صيدك
(جاسر لا يلتفت ؛ فيقرعه على ظهره)

الأول : سلمه
الثاني : ما أسعده هذا الوغد!
الأول : (يخبط جاسر على كتفه) كيف ظفرت بها؟
الثاني : دعه

(يمشيان قليلاً وهما يتشاوران)

الأول : لماذا لا نأخذها منه؟
الثاني : وكيف بربك؟
الأول : فلنضربه على النافوخ يكعب مسدس

فيدوخ وتأخذها منه

الثاني : سيقال : فدائي ضربه

جاسر : (يلتفت بغتة ويقاچئهما) أيليق بنا هذا؟

(يختلط صوت الضابطين بعد المفاجأة في محاولة للضحك)

الأول : لا... لا تغضب..

الثاني : كنا نمزح..

(يذهبان في اتجاه باب الملهى... وعندما يختفيان يلتفت جاسر)

جاسر : هل خفت؟

جميلة : لا.. أنا لم أخف إلا عليك

جاسر : هل أنت غاضبة لأن يدَيّ عانقتا يديك؟

جميلة : إني لأعرف أنه دور نكابه

جاسر : صحيح

جميلة : لم يشعر الإنسان حين يحفه خطر رهيب

أن الحياة جميلة ، وكأن في أعماقها سرّاً تبوح به لنا

جاسر : غريب

جميلة : في الليل ، نشعر أننا أهل البلاد

وسادة الأرض الحينة والجبال

جاسر : حقاً وأن سواعد البطء تمتلك المصائر

في الليل ، نشعر أننا أهل الجزائر

جميلة : ومتى سنشعر في النهار بمثل ذلك؟

جاسر : عن قريب

البحر والظلمات والصمت المروع والمخاطر

كم ذا تثير من الخيال !

(النور يسطم الآن داخل الملهى الصيفي ، حيث تبدو الموائد بوضوح.. عزام وهند على مائدة.. الضباط يدخلون من الباب الرئيسي الذي على يسار المسرح.. كلهم من الضباط الذين رأيناهم في مذبحه القصبة وهم الآن يتناثرون على الموائد يتحدثون ويتضاحكون.. الضابطان : بيير وفريتز يجلسان على مائدتين متقاربتين وعلى مائدة أخرى بعيدة يجلس قائد المظليين ومعه اثنان من المستوطنين.. بالقرب منهما يجلس صحافي فرنسي ومعه صحافي أمريكي.. الموسيقى تتصاعد في هدوء من الملهى والراقصات يرحن ويحئن أو يجلسن إلى هذه المائدة أو تلك.. جميلة وجاسر يتأملان الملهى من مكانهما على البحر)

جميلة : هم يبدؤون الآن..

جاسر : أنا لا أرى سيمون بينهم

جميلة : الأخت هند هناك في ثوب قثيب

(في الملهى : عزام يميل على هند كأنه يقبلها)

(ساختة وهي تنظر إلى الملهى)

عارّ على عزام يوشك أن يقبلها

جاسر : اطمئني

جميلة : انظر إليها... إنها احتدت على عزام

جاسر : (بخطورة وثقة) دستور الجهاد يحمي تقاليد البلاد

- جميلة : بالطبع
- جاسر : (مستمراً) كل مجاهدة هي بنتنا أو أختنا أو أمنا
- جميلة : مهما ترى فلتطمئي ، فالفضائل سائدة
- جاسر : (ترتفع الموسيقى ، ويقوم بعض ضباط فيمالون الحلبة بزميلاتهم في الرقص ، والضوء يخفت)
- جاسر : فلنبتعد كي لا نشير شكوك إنسان هنا
- جميلة : فلنبتعد
- (يختفيان)
- ضابط : (من داخل المرقص يعترض راقصة)
- أو تعرفين؟ لأنت أجمل من رأيت من النساء في ثغرك الظمان ، في عينيك ، في نهديك يضطرم النداء
- (القمر يرتفع الآن وكأنه ييزغ من أعماق البحر)
- الراقصة : هذا كلام قد سمعناه هنا مليون مرة...
- إني لأعرف صنفك الثرثار.. يحلم بالسرّة
- لكن يضيع الوقت في غزل سخيف لا يفيد
- (يمسك بيدها)
- الضابط : لا تذهبي.. لتكلمي
- الراقصة : (واقفة)
- فلنفتح الشمانيا لي أولاً..
- فريتسز : (يمسك بيد الراقصة فتتجه إليه)
- عندي هنا شمانيا ففضلي...

(الموسيقى انتهت الآن من العزف وكلهم يعودون إلى الموائد
وعندما تجلس الفتاة تصفر نفس اللحن الذي انتهت الموسيقى من
عزفه)

فريتز : ما ذلك النغم الجميل؟ أمن أناشيد الرعاة؟

الراقصة : أنا لست أعرف.. إنه لحن قديم من فرنسا
كانت تردده الشفاء أيام كنا في المقاومة المجيدة
(تصفر بقية اللحن)

فريتز : إني لأذكر أنهم كانوا هنالك في السجون يرددونه

بيير : (لجاره مشيراً إلى فريتز)

أعرفت ماذا يقصد المأفون من هذا الكلام؟

هنند : عزام... إني خائفة

عزام : (يحاول أن يضمها)

فلتحتمي بي

هنند : هذا العناق بكل لهفتك الغريبة ليس يلزم للمهمة

عزام : (غاضباً) أنا من يحدد كل ما هو لازم..

بيير : (لفريتز) لمَ جئت في حفل كهذا يا فريتز..

أأنت من أبطالنا؟

إني لأعجب

قد كنت في الكاسبا مساء أمس مدعوراً كأرنب

فريتز : قل يا بيير... أتذكر الحرب الأخيرة يا بيير؟

أتذكر الشهر الأخير؟

بـــــــــــــير : آه... حين جن زعيمكم ذاك الذي قد كان يدعى

القوهرر!

فريتـــــــــز : بل عندما عَيَّنْتُ قائد معتقل في غرب باريس..

أتذكر؟

بـــــــــــــير : افخر بسطوتك القديمة بالشجاعة يا بطلُ

فلقد رأيتك أمس في الكاسبا تموت من الهلعُ

وتتافق المتمردين المسلمين بلا خجلُ

وبكل ما ملك الجبان من الوجلُ

قد كنت تضربهم وهم مثل الدجاج

وأنت يرعشك الفزع

زميل لفريتـــــــــز : بل لم يكن فيما جرى بالأمس شيء ما يدل على الشجاعة

فريتـــــــــز : لائزُهُ أنت بما جرى بالأمس ، واذكر منذ شهر أو أقل

أنني رأيتك في المصححة تستमित من الضراعةُ

وجميع جسمك يرتعدُ

لما دنا منك الطبيب بإبرة لك في العضلُ

بـــــــــــــير : (ضاحكاً) يا وغد... قد كانت طيبه!

(فريتـــــــــز يضحك)

فريتـــــــــز : أجل... أجل

بـــــــــــــير : اضحك فإنك لست تفهم رعشة القلب الطروب

أمام سلطان الجمال

زميل لفريتز : وكذلك يرتعش الرجال

(ضحك)

فريتز : أزرية هي مثل رعدة ذلك البطل الفرنسي القديم؟

قد كان في العشرين يخطر رغم ذلك في المهابة والجلال

في غرب باريس أتذكر؟ أم نيت المعتقل؟!

بيير : (بغضب) لا يا فريتز!.. لتحذرا!

فريتز : (مستمرا) ما كنت أنوي أن أعذبه ولكنني عرضت عليه

آلات العذاب.

وفجأة لعق التراب وقبل أن أستجوبه

انهار بيكي، ثم سلمني رؤوس صحابه.. كل الصحاب

بيير : (يقف مهددا) ماذا تقول؟

فريتز : من بعد ذلك عاش محترما ليسخر من هزيمة سادته

اسخر كما تهوى فلن أنسى هوانك يا بيير

(يمسك بيير زجاجة شمبانيا لينقض على فريتز ويتماسكان ويثور

الصخب)

بيير : أتعرف من أنا يا مرتزق؟!

فريتز : من أنت؟ قل لي

بيير : ستعرفني يا فريتز الحقير

فريتز : (بهدهوء) أنا لست أنساك، فاركع أمامي كما كنت تركع..

(القائد يقبل ثائرا ويفرقهما بشدة)

- القائد : هذا كثير فريتز، بيير، ألا تخجلان؟
بحق السموات.. ما تصنعان؟!
- بيير : لقد كان يشتمنا كلنا وكان يهين فرنسا هنا!
- فريتز : أنا كنت أشتمه وحده.. معذرة سيدي القائد
- القائد : أنت فرنسا؟
- بيير : معذرة سيدي القائد
- (يعود القائد إلى مائدته حيث اثنان من المستوطنين يتحدثان)
- المستوطن : أهم دفعوا ثمنًا مغريًا؟
- الآخر : للمزرعة؟ أجل.. عشرة أضعاف ما تحقق غداً أشتري مصنعا في شمال فرنسا وقصرًا منيفاً وضيعة...
- المستوطن : حكومة باريس مسئولة فقبضتها لم تزل واهية
- الأول : ومهما بُدّ من قرى أو مدن فليس لنا بعد أن نطمئن
- فلا بد من ضريبة قاضية تبيد بها الكل.. كل العرب
- القائد : أنا في عجب فأصحابنا الأمريكيان الكرام يمدوننا بالسلاح الكثير لتثبيت أقدامنا هاهنا ولكنهم يحبون الأراضي من تحت أقدامنا دائماً بما يدفعون لها من ثمن!
- المستوطن : أجل، إنهم يرثون الجزائر!
- الثاني : (على مائدة مجاورة صحافي فرنسي وآخر أمريكي في مناقشة)

الفرنسي : (للأمريكي) لا ، إنما يرث الجزائر أهلها حتماً..

أتفهم؟

قد تشترون الأرض والبتروول أو بعض المناجم

لكن هذا لن يدوم ؛ لأنهم في ذات يوم سوف يتزعونه

منكم ومنا

الأمريكي : أوه. هذه الأفكار؟ أنت إذا..

الفرنسي : (مقاطعاً) أجل

الأمريكي : لو كنت في تكساس لم تُفلثك لجنة أمنها

ولما قدرتَ على الكتابة في الصحف

ولما قدرت

على التوظيف!

الفرنسي : (يقاطعه) ولمتُ جوعاً أو خضعت لحكمها!

إنني لأعرف كل هذا العار... أعرف!

حيث احتكارات الصناعة تشتري شرف الرجال

المستوطن فلتشربوا نخب الرحيل.. غداً سأرحل

القائد : لا لا.. محال!

المستوطن : عمالاً أرضي كلهم رفضوا العمل

إلا إذا ما كنت أدفع حصة للتأثرين

كيف السبيل إذا؟ أجب! ألدبك حل؟

أتركك تزرع أنت لي أرضي بجيشك؟

أم سوف أزرعها أنا بيدي؟.. قل!

الصحافي الأمريكي : (متدخلًا) يا سيدي.. هل ثار عمال الزراعة
في ضياعك؟

نفس المستوطن : من أنت؟
الصحافي الأمريكي : أنا من بلاد الأصدقاء مندوب ذي سكاندال..
من تكساس

القائد : ما هذه أيضًا؟
الصحافي : مجلة
المستوطن : حسنًا
الصحافي : (للمستوطن) أسمح لي ببعض الأسئلة
المستوطن : أسأل.. ولكن لا تثر لي مشكلة
(يقوم الصحافي الأمريكي فينتقل إلى مائدة المستوطن)
الصحافي الفرنسي : (ضاحكًا) اذهب ولا تسأله عن أثر الكوكاكولا
بمعركة الجزائر

الأمريكي : (للمستوطن)
قد كنت تشكو سيدي إضراب عمال الزراعة في
ضياعك

أنتظن أن يد الأجانب حركتهم؟
المستوطن الأول : لا ، لا أجانب هاهنا ، إلا إذا ما كنت نحسبنا
أجانب

القائد : (محررًا) ماذا تقول؟؟

- المستوطن : ألا ترى؟ يا سيدي الصحفي في هذا كفاية!
 اذهب.. سل المسيو ديجول!
- الصحافي : أتحب زوجتك الحزير..
- المستوطن : (لنفسه) ما دخل هذا بالسياسة؟
- الصحافي : أعني: أتهوى النايلون الشفاف في قمصانها؟
- المستوطن : (متحرجاً) ماذا؟
- الصحافي : (مستمراً) أم أنها تهوى حريركم الفرنسي الرقيق
 ماذا تفضل أنت عند عناقها؟
- الصحافي الفرنسي : (ضاحكاً) سل من يعانقها
 فماذا يعرف المكين عن قمصانها
- المستوطن : (هائجاً) ما دخل هذا بالصحافة؟ لن أجيب!
- الصحافي الأمريكي : المعذرة.. باي باي⁽¹⁾
- (ينسحب إلى مائدة الصحفي الفرنسي)
- الصحافي الأمريكي : (للصحافي الفرنسي)
 فلنذهب لمكان آخر الحز شديد
 ورطوبتكم لا تحمل!
- الفرنسي : أتريد مكائناً بالتكيف؟
- الأمريكي : (وهو يقوم) هذا أفضل
- الفرنسي : فلتفضل

(1) التعبير الأمريكي المعروف وهو بمعنى: إلى اللقاء.

- ضابط آخر : لا تفسد رقصة سيمون
- سيمون : لم تدفع شيئاً كي تلمني.. إنك مدعو كي تشهد!
- بيير : وأنا كم أدفع لعناقك؟
- سيمون : حياتك لا تكفي ثمننا
- فريتز : وأنا كم أدفع من أجلك لتكوني ملكاً لي وحدي
- سيمون : ليدفع لك من يملكك!
- بيير : برافو سيمون.. اقتربي
- سيمون : (مكملة لفريتز) فإنك عبدٌ يا مسكين
- (ثم لبيير) ولست بأكثر حرية
- القائد : (ضاحكاً) أهانت فيك فرنسا؟
- بيير : لا...
- فريتز : لم لا...؟
- بيير : سيمون فرنسية
- القائد : رفقا بهم يا سيمون
- مستوطن : لا تهتم
- المستوطن الأول : دعها تتكلم
- فنحن نحبك يا سيمون بأشواكك
- سيمون : لأنك تجنن الشوك
- المستوطن الأول : أنا؟
- سيمون : إنك لا تدري!

فالورد الفاخر في بستانك يقطفه رجل غيرك!

المســـــــــــــــــتوطن : (للقائد) ماذا تعني؟

ســـــــــــــــــيمون : أعني امرأتك..

القائـــــــــــــــــد : لقد فضحتني المجنونة

فريتـــــــــــــــــز : (لزميله) أنشارك قائدهم في نفس الكوب؟

زـــــــــــــــــمـــــــــــــــــيله : قل البئر

(الموسيقى تسرع وسيمون تترك الموائد وتقف في حلبة
الرقص لتكمل رقصها وفريتز يتقدم نحوها)

ضـــــــــــــــــابط : اقعد يا فريتز

فريتـــــــــــــــــز : لماذا تبتعدين الآن؟

ســـــــــــــــــيمون : (من مكانها)

لأنك نحيا في ماضيك وتصاحب أتعس أفكارك

صاحب يومك يا مسكين.. ومتع نفسك بالحاضر

(تسير على نغم الرقص تجاه مائدة بيير.. فريتز يتعرض
لها بينما الساعة تدق الثانية عشرة فتلقي سيمون على
عزام نظرة خاصة)

هـــــــــــــــــند : انتصف الليل

عـــــــــــــــــزام : سيمون لم تخطئي أبداً

(سيمون متجهة إلى بيير)

ســـــــــــــــــيمون : اشرب أيامك يا مسكين فقد يشربها منك الدود!

عـــــــــــــــــزام : (بخطورة) يا هند

هـ_____ : (تعانقه) أتت اللحظة!

عزام : حسنًا داريني في القبله..

هـــــــند : (وهي تعانقه بعصية) اضرب
(سيمون تشير إلى أحد خدم الكباريه)

سيمون : فلتطفئ هذا النور
(تطفأ الأنوار تماماً ولا يسطع إلا ضوء القمر)

ســـــــــــــــيمون : الآن سأرقص في ضوء القمر الحاني
(وهي تتعري من بعض ملابسها على أنغام الرقص)
لا يغمس أحد نظرتة العطشى في جسدي العريان

هـ : ما أروعها وشعاع النجم غلالتها

فريتزر : (تستخفه النشوة والحزن)

لم لا تصبح أيامي كعصور اللذات الأولى؟

لا حرب ولا دم، بل خمر، خمر ونساء وغناء!!

(تتقدم سيمون إلى مائدة وتنحي ما عليها من كؤوس
وزجاجات بلا مبالاة وتشب عليها لتكمل رقصتها
كفجريات الزمن القديم)

ســـــــيمون : سأقدم أبداع ما رأت العين

بـ _____ پیر : ما اسم الرقصه؟

سيمون : المذبحون

القائــم : هـزتها أمس بطولكم في الكاسبا فابتدعت رقصه

فلنشرب نخب الأبطال

(يقدم إليها كأساً وهي واقفة على المائدة)

سيمون : (ترفع كأساً) نخب الأبطال.. نخب القائد

القائد : (يرفع كأسه) فلنشرب نخبك يا سيمون

(يفسحون لها الموائد مما عليها وتقفز عليها وهي تتعري شيئاً فشيئاً)

ضجيج الضباط : برافو سيمون! أولاً سيمون! سيمون!

سيمون : والآن ليمسك أنفاسه

كل منكم يا سادة وليترك كأسه كانت تاييس إذا
رقصت يهتز لها وحش الصحراء

والبحر بروعته يجثو لتحتها ويغني الماء

فريتـز : (يصيح) كانت أيضاً تهتاج الراهب في ديرة

ضابط آخر : لا تتكلم

بيير : هذا كله من عشرة قرون

سيمون : (تقفز على مائدة أخرى وتعد الموجودين بأصبعها)

كم قرناً ينظر لي الآن من هذا الموقع؟ عشرون..
(ضحك صاخب)

أصوات : أجل عشرون.. أجل عشرون

(في خلال الضجيج يطلق عزام النار على بيير وهو في
نفس الوقت يتظاهر بعناق هند)

(سيمون تقفز إلى الأرض وتحنني أمام الموائد معلنة
انتهاء الرقصة وتقف أمام مائدة عزام)

- سيمون : (لعزام) هنا... ضعه هنا...
- (سيمون تنحني وعزام يسقط المسدس في صدرها بسرعة ، وتجري هي إلى الداخل من الباب اليمين)
- هند : (همساً) شكراً سيمون
- جار بيير : (يهزه) بيير .. بيير .. ألم تعجبك؟
- ضابط آخر : (صارخاً) دمه يتزف
- (يظهر جاسر وجميلة على شارع البحر)
- جاسر : هاتي القبلة
- (جميلة تسلمه الحقيبة)
- جميلة : الله معك
- (هرج في المرقص)
- فريتز : في الرأس نزيقاً
- ضابط آخر : أين التليفون؟ ادعوا الإسعاف
- القائد : انقله إلى حجرة سيمون
- (بعضهم يحمل بيير إلى الداخل من الباب اليمين الذي يفضي إلى حجرة سيمون)
- المستوطن : هجم الثوار ذئب الكاسيا جاسر جاء
- المستوطن الثاني : فليرحمنا الله جميعاً.. الرحمة..
- (يجري إلى الخارج ووراءه المستوطن الآخر من باب المرقص الرئيسي على اليسار)

- القائد : لا يبرح أحد موضعه واستدعوا النجدة بالتليفون
- أصوات : أين التليفون؟
- عزام : (صارخًا) استدعوا حراس الشاطي
- القائد : استدعوهم بالتليفون
- عزام : واستدعوا كل البوليس السهران الآن
- جاسر : ضحايانا نفضوا الأكفان وقاموا الآن
- ثبت أيدينا يا رحمن
- (ويتدافعون نحو الباب الخارجي والقائد وراءهم.
- فيتلقاهم جاسر بالقنبلة فتدوي والدخان يملأ المكان..
- سيمون تأتي صارخة بينما يختفي جاسر وجميلة)
- سيمون : ما هذا؟
- (خادم يأتي مسرعًا)
- الخادم : يا سيدتي لم ينسف إلا باب المرقص والمدخل
- سيمون : أأصيت إحدى فتياتي أو أحد منكم؟
- الجرسون : لم يمسقط غير الضباط وكلهم تحت الأنقاض الآن
- عزام : ويبيرو..؟
- الجرسون : لم يمت الماجور بعد فقد حملوه إلى حجرة سيدتي
- وهناك تسيل دماء الماجور كالنافورة
- سيمون : عد أنت إليه..

- سيمون : ما كان ليعرفني عزامُ لو كنت ملاكاً يا هندُ
- عزام : سيمون.. كفى فلتصالح
- سيمون : لم أصنع هذا من أجلك
- عزام : سيمون، لماذا نتشاجر؟
- سيمون : (مستمرة) من أجل فرنسا ما أصنعُ من أجل القيم الفاضلة الممتحنة في وطني الضائع
- هنـد : سيمون
- سيمون : غريبٌ مني هذا القول ودفاعي عن قيم الشرف هذا أغربُ
- هنـد : (في خجل) لم أقصد هذا.. معذرة
- سيمون : لا تعتذري يا هند فأنا لا أغضب.. من كانت مثلي لا تغضب
- عزام : سيمون.. كفى..
- سيمون : (مستمرة بتأثر) لكن هل حتم أن يدفع رجل ما لمثيلاتي غثاً عن أية قطرات من عرق يبذل؟
- لكننا نعمل في مصنع!
- عزام : سيمون!
- سيمون : اسكت أنت ماذا تعرف عني أنت؟
- الراقصة تبيع الحب بسعر مرتفع جداً!!
- لكنك لا تدفع بعد!

هـ_____ند : سيمون! لماذا!

سيمون : أجرحت حيائك يا هند؟
عليّ إنني أعتذر إليك

وَكُنْتُ كَأَسْعَدِ مَا حُلِمَتْ بِالْعِيشِ فَتَاةٌ يَا هِنْدُ!

(تشرّد) من سبعة أعوام ذهبت

(لعزام) أسمع بهذا من قبل؟

كانت أيامي كالأحلام وكنا أسعد زوجين

و ذات صباح طلبوه للحرب

هتایند :

سيمون : في أقصى الشرق ! هنالك في الهند الصينيه
تحت شعار متألق

دفاعاً عن شرف فرنسا..

عـــــــــــــــــــــــزام : فمضى المخدوع.

يون : (مستعرة) وكنت أنا أيضاً أحلم أن حبيبي سوف يعودُ
كالبطل الفرد المغوارُ يعلوه إكليل من غارُ

وكنتم أقول لطفائنا:

هــــند : (تقاطعها) أو لم يرجع !

سيمون : يا للعار! طرقوا بيتي في صلف مخدوع خادع

بكلام عن شرف التضحية الكبرى.. والتاريخ^٥

ومسئوليات فرنسا!

لم أفهم إلا أن حيي مات هناك

هل زوجي المسكين الطيب هذا استشهد في اللعنه؟

وأنا؟ هل زوجة سفاح أم زوجة بطل مستشهد؟

ودموعي وفجيرة قلبي فيه؟

أجنون كانت أم حكمه؟

ويُتم الطفلة من بعده؟ هل كان كذلك أكذوبة؟

وذهبت إلى المسؤولين وشكوت لهم أنني بعثت ما في

البيت

لكي نأكل

والطفلة تعرض مع هذا من سوء التغذية.. فقالوا

لكم عانيت!

هــــــــــــــــند:

أجل

عــــــــــــــــزام:

(مستمرة) قالوا لي: هي بنت بطل حقا

ســــــــــــــــيمون:

لكننا نحن خسرنا الحرب

وعلينا أن نحتمل الوضع!

فبصقت عليهم ومضيت للشارع أصرخ في الناس:

فليسقط تجار الموت، فليسقط صناع الياس!

ورموني في السجن شهوياً ولما حررت أخيراً

وجدت الطفلة قد ماتت!

المسكينة!

هــــــــــــــــند:

(تتماسك وتبدو امرأة قوية)

ســــــــــــــــيمون:

لكنني الآن هنا أغنى من كل القواد فقدت

صممت على ألا أعرف هذا الجوع اليأس بعدُ

عزم : سيمون ...

سيمون: ولكي لا يحدث لامرأة أخرى ما عانت سيمون فتعرف
بعد فوات الوقت مصيبتها.. وخديعتها

وأن المسئولين هنالك من أعرق تجار الدم

فَأَنَا الْآنَ هُنَا مَعَكُمْ

دفاعاً عن شرف فرنسا ومصير الزوجات جميعاً..

ودفاعاً عن أطفال فرنسا..

عزم: هل مازالت سيمون الحساء تخصمني الآن؟

سيمون: (تضحك بمرارة) أنا كالجيفة

حيث أكون تخلق من فوقى الغربان

وتنبت من حولي الديدان!

لكني أعشق عزاماً من بين جميع الغربان

عزام: أوه.. ياسيمون!

_____ند: (لعزام همما) عزام أتذهب أم تبقى؟

إن الإخوان ينتظرون على الشاطئ.. وسيبدأ تفرغ

الشَّحَّةُ!

عزام: (ينظر في ساعته) هو ذا موعدهم بالضبط مسيت بحير

ياسمون

(يتجه إلى اليمين مسرعاً)

- سيمون: لا تنس الليلة يا عزام.. عندي في البيت
- عزام: (هامساً) لا ليس الليلة
- سيمون: (تزعق بسوقية)
- لا تهرب مني مثل الأمس وتتركني أتلفني وحدي
منتظره
- عزام: هند تمعنا يا سيمون... وقولك هذا يخلجها
- سيمون: هند طفلة هي لا تفهم هذا الشيء
- (بمضي عزام، وهي تكمل مقبلة ناحية هند)
- سأعود بهند للكاسبا
- هند: بل إنني أنتظر الساعة أخيراً منا
- ستجيء إلى هذا الشارع فلدينا أعمال أخرى
- سيمون: فلتأت صديقتك الأخرى معنا كي لا يعترض طريقكما
- أحد هيا للعربة
- في العربة تصریح السلطات بأن تتجول طول الليل..
هيا.. هيا.
- (تظهر جميلة من شارع البحر)
- هند: لا .. لا.. كيف؟!
- سيمون: هند أجيبي بصراحة
- أيسيء إلى سمعتك وجودك في سيارة راقصة مثلي
يا هند؟
- هند: (بانفعال وهي تعانقها) لا .. لا .. سيمون!

(يتعانقان والسفينة تظهر في الأفق الداكن من بعيد،
وجميلة تنادي هامسة)

جميلة : هند.. تعالي يا هند!

"ستار"